

المنظومة النحوية (اليوسفية) لابن النحوي

أبو القاسم التّوزري الرّشّيدي القلعي الجزائري عرض ودراسة.

الدكتور: مراد مزعاش

المدرسة العليا للأساتذة قسنطينة الجزائرية.

mouradski@yahoo.fr

تاريخ الوصول: 2021-04-18 القبول: 2021/07/04 النشر على الخط:.....

Received : I Accepted : I Published online :

ملخص:

تتناول هذه الدراسة قصيدة اليوسفية في النحو لابن النحوي التّوزري القلعي بالدراسة والتحليل، من خلال التعريف بصاحبها، ثم التعريف بها من حيث تسميتها ونسبتها إلى ابن النحوي، ومن حيث مخطوطاتها والشروح التي أقيمت حولها، وبيان منهج صاحبها في عرض القضايا النحوية التي أوردها، ثم إبراز أهم اعتراضات الباحثين والدارسين التي سجلت حول ما ورد فيها من مسائل، ثم الوصول إلى الخلاصة والنتائج التي توصلت إليها الدراسة.

الكلمات المفتاحية: ابن النحوي، القصيدة اليوسفية، النحو، المنهج، الاعتراضات.

sammary

This study deals with the poem of Al-Youssoufia in grammar by Ibn nahwi Al-Tawzari Al-Qalai through study and analysis, by introducing its owner, then defining it in terms of its naming and attributing it to Ibn al-Nahawi, in terms of its manuscripts and the explanations about it, and a statement of its author's approach to presenting the grammatical issues that he mentioned, then highlighting The most important objections of researchers and scholars that were recorded about the issues mentioned therein, then reaching the conclusion and conclusions reached by the study.

Key words: Ibn Nahwi the Yousoufia poem, the syntax, the method, the objections.

تقديم:

أدرك علماء اللغة العربية الأوائل ضرورة تعلّم النّحو للمحافظة على اللغة العربية وتقويم اللّسان، حتّى يتسنى لهم التّعامل مع القرآن الكريم بوجه صحيح، وفهم مقاصده ومعانيه على الوجه الأكمل، مع إدراك المعاني والدلالات التي تحتملها اللغة بشكل صحيح. وكذا الأمر مع بقية النصوص الشعرية والنثرية الأخرى التي يتعاملون معها.

ولتحقيق ذلك اتجهوا إلى التّأليف في النّحو، من خلال تحديد القواعد والضوابط والأصول والمقاييس التي يقوم عليها هذا العلم، فوضعوا لذلك كتباً ورسائل ومتوناً ومنظومات بداية من أبي الأسود الدؤلي والأخفش والخليل بن أحمد وسيبويه وابن جني... وغيرهم، وتوالى بروز العلماء المهتمين بعلوم اللغة خاصة منها النّحو، ونشأت بعد ذلك مدارس، وتكونت اتجاهات ومذاهب، تبنت رؤى ووضعت أصولاً وضوابط للعلم يتم الاحتكام إليها...

وكانت بداية التّأليف في منطقة المغرب الإسلامي مبكرة جداً ورائدة في مجالها، وكان الباحثون الجزائريون سباقين إلى التّأليف في النّحو حيث عرفوا ذلك في القرون الأولى، بل وكانوا مع أول من بادر إلى ذلك على مستوى منطقة المغرب العربي. فقد كانت البداية الأولى في التّأليف عندهم متقدمة جداً، فمن خلال ما نعلم وما وصلنا ممّا هو مذكور في كتب التّراجم وتاريخ اللغة والأدب نعرف أنّ محاولاتهم الأولى كانت في القرن الرابع الهجري، مع يهوذا بن قريش التّاهرتي (ت 4هـ)¹، وأبي القاسم الوهراني الهمداني (ت 411هـ)²، المتوفى بداية القرن الخامس الهجري. ثمّ توالى التّأليف بعد ذلك عبر القرون.

وقد كان الجزائريون أيضاً من أوائل الذين صاغوا قواعد النّحو في منظومات، فبدأتهم الأولى مع ترجيز العلوم النّحوية كانت مع منظومة (اليوسفية)³، لابن النّحوي التّوزري القلعي (ت 513هـ)، ثمّ

¹ - وضع رسالة صغيرة في النّحو المقارن بين عدد من اللّغات خاصة منها العربية والعبرية والأمازيغية، وهي رسالة محققة بجامعة الملك السّعودي بالمملكة المغربية.

² - له مؤلف في غوامض الأسماء المهمّة. انظر ابن بشكوال، غوامض الأسماء المهمّة، تحقيق عزّ الدين علي السّيد ومحمد كمال الدّين عزّ الدين، ج 1، عالم الكتب، بيروت لبنان 1416هـ/1996م، ص 161.

³ - له منظومة نحوية أسماها (اليوسفية) عدد أبياتها (41 بيتاً) في مسائل النّحو. وهي محل دراستنا في هذا المقال.

مع منظومة (الدرة الألفية في علم العربية)¹، لابن معطي الزواوي (ت 628هـ)، ثم توالى بعد ذلك التأليف النحوي من خلال المنظومات على مَرَّ القرون.

التعريف بابن النحوي التّوزري الرّشّيدي القلعي:

هو جمال الدّين أبو القاسم يوسف بن محمد بن يوسف التّوزريّ الرّشّيدي القلعي الجزائري، المعروف بابن النّحوي، (433هـ-513هـ/1041م-1119م)²، من مواليد مدينة توزر بالجنوب التّونسي، ثمّ استوطن طويلا مدينة القلعة عاصمة الحمّاديين الأولى فَنُسب إليها، وعُدَّ من أهلها، وأُتيحت له الفرصة خلال هذا العمر الطّويل ليُصِيب من العلوم أوفر نصيب سمح به زمانه. وبعدما انتهى من

¹ - له الدّرة الألفية في علم العربية، وهي أُلْفِيَة في النّحو سبق بها ابن مالك لكتّها لم تبلغ شهرتها. وقد شرح أُلْفِيَة ابن معطي كثير من العلماء حتّى فاق عدد الشّروح العشرين شرحا.

² - انظر ترجمته في: أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصورة للطباعة، الرّباط المملكة المغربية، 1973م، ج 2، ص 552. - إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، منشورات مكتبة المثنى، بيروت لبنان، 1956م، ج 2، ص 551. - خير الدّين الزّركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط 10، 1996م، الجزء الثّامن، ص 247. - ابن الزّيّات يوسف بن يحيى التّادلي، التّشوف إلى رجال التّصوف، تحقيق: أحمد التّوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرّباط، المملكة المغربية، 1984م، ص 95. - القاضي عياض السّبّتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق سعيد أحمد أعراب، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1982م، ج 8، ص 109. - ابن الأبار أبو عبد الله محمد، التّكملة لكتاب الصّلة، تحقيق عبد السّلام الهرّاس، دار المعرفة، الدّار البيضاء، المملكة المغربية، 1995م، ج 4، ص 227. - أحمد بابا التّمبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، تقديم عبد الحميد عبد الله، كلية الدّعوة الإسلامية، طرابلس ليبيا، 1989م، ج 2 - ص 622 / 623. - الضّبيّ أحمد بن يحيى، بغية الملتبس في تاريخ أهل الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب المصرية، القاهرة، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، ط 1، 1989م، ص 120. - أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثّقافة، بيروت لبنان، د ط، د تا، ج 4، ص 285. - ابن مريم أبو عبد الله محمد بن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1986م، ص 300. - محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التّونسيين، دار الغرب الإسلامي، بريت لبنان، الطّبعة الأولى 1986م، الجزء الخامس، ص 24/19. - أبو العبّاس أحمد الغبري، عنوان الدّراية في من عرف من العلماء في المائة السّابعة في بجاية، تحقيق راجح بونار، الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر 1981م، ص 272/278. - حاجي خليفة، كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، بيروت لبنان، 1999م، ج 2، ص 1946. - عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى ودار إحياء التّراث العربي، بيروت لبنان، د ط، د ت، ج 13، ص 344. - ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، تحقيق عادل نوميض، مؤسسة عادل نوميض، بيروت لبنان، 1985م، ص 40. - بدر الدّين القرافي - توشيح الدّيباج. ص 285. - محمد الأزهر باي، ابن النّحوي حياته وآثاره، مجلة حوليات الجامعة التّونسية، العدد 29، سنة 1983م. - علي بن أبي الزّرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرّباط المملكة المغربية، ط 1، 1973م، ص 41.

حياة الدّرس والتّحصيل العلمي والتّكوين الثّقافي صار من العلماء البارزين المشهود لهم بالباع الطّويل والكعب العالي في علوم عصره. ذلك هو ابن النّحوي علّامة المغرب الأوسط وأحد الوافدين على المغرب الأقصى، حيث نجح في ترك آثاره الطّيبة هناك في الأوساط الثّقافية والصّوفية، لاسيما انتصاره للإمام الغزالي وكتابه الإحياء، رغم ما اعترض سبيله من متاعب وعراقيل فرضها عليه تيار الفقهاء المتحفّظ والمتشدد.

وبعد ما كان بينه وبين الفقهاء في فاس وطرده من الأمير منها، عاد إلى القلعة التي وجد بها راحته وحقق فيها كثيرا من طموحاته وآماله حتّى توفي بها رحمه الله.

وعلى الرّغم ممّا خاضه ابن النّحوي من معارك فكرية ومواجهات ثقافية، وشهرته في الأوساط الصّوفية، وتضلّعه في علمي أصول الدّين والفقه وعلم الكلام، فإنّه لم يهتم بالتّأليف كثيرا، إذ لم تُشر مصادر ترجمته إلى اشتغاله بذلك، إلّا ما ذكر متناثرا هنا وهناك، خاصة قصيدته (المنفرجة) التي اشتهرت اشتهارا كبيرا ولقيت كثيرا من الاهتمام والتّقدير، فتناولها عدد غير قليل من الدّارسين والباحثين والمهتمين بالشرح والتّحليل والتّفسير والتّوضيح.

وممّا ذكر من آثاره أيضا التي تركها منظومة متوسطة في النّحو سمّاها أو تُعرف في أوساط اللّغويين والنّحاة، (القصيدة اليوسفية)¹ في النّحو، كما ترك رحمه الله بعض الأشعار.

التّعريف بمنظومة اليوسفية:

هي منظومة نحوية من الحجم الصّغير، لم أجد أحدا من الدّارسين يتعرض لها بالدراسة والتحليل والتحقيق إلّا قليلا من نتف الإشارات والإحالات، ولم يولها الباحثون والمؤرخون للفكر والثّقافة وحركة التّأليف والمهتمون بالدّرس النّحوي عموما وفي منطقة المغرب خصوصا ما تستحقه من الاهتمام، باعتبارها أقدم منظومة نحوية في منطقة المغرب العربي لأحد أشهر نحاتهم وأعلامهم، إنّ لم تكن أوّل منظومة عندهم.

وهي قصيدة رائية من بحر الطّويل عدد أبياتها واحدا وأربعين (41) بيتا. ولكنّ ناظمها ابن النّحوي التّوزري القلعي أشار في مقدمتها إلى أنّها ثمانية وثلاثين (38) بيتا، حيث قال:

- أيا طالِبِ الإِعْرَابِ دُونَكَ جُمْلَةٌ *** مِنْ أَحْرَفِ اللَّفْظِ لَكَ فِي شِعْرِ

¹ - نسخة مخطوطة بالخرانة العامة بالرباط رقم: 351/1. - نسخة ثانية بالخرانة العامة بالرباط رقم: D753. - نسخة ثالثة محفوظة في مكتبة إبراهيم الزمزمي الحفظي بعسير، بالمملكة العربية السّعودية. - نسخة رابعة بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة في 3 أوراق تحت رقم: 308306. - نسخة خامسة مخطوطة بخرانة التراث بمركز جمعة الماجد للثقافة والتّراث ببدي لم يذكر مؤلفها عندهم برقم: 263166. - وقد طبعت هذه المنظومة مع شرحها المعروف (الدّرة المضية في شرح القصيدة اليوسفية) لعمر بن محمد بن أبي بكر المبيّض الصيداوي، تحقيق خالد عبده الشّربيني حسنين سماحة المدرس بقسم اللّغويات بكلية اللّغة العربية بالمنوفية، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية د ط، د ت.

- تُعَلِّمُكَ الْإِعْرَابَ وَهِيَ قَرِيبَةٌ *** مُنْظَمَةٌ يَسْرُتُهَا أَيْمًا يُسْرِ

- ثَلَاثُونَ بَيْتًا فَرَعُهَا وَثَمَانِيَةٌ *** تُعَلِّمُ يَوْمًا مَا يُعَلِّمُ فِي شَهْرِ

فإذا كان ابن النحوي قد ذكر عدد ثمانية وثلاثين بيتا (ثلاثون بيتا فرعها وثمانية)، فلعله كان يقصد بهذا العدد أبيات اللاحقة غير هذه المقدمة التي تظم ثلاثة أبيات، والتي تعتبر مقدمة أو مدخلا للمنظومة كاملة، والتي إن أضيفت لبقية أبيات المنظومة التي بلغ عدد أبياتها الثمانية والثلاثين، تصبح واحدا وأربعين بيتا.

تسميتها والغرض من نظمها:

عُرفت هذه المنظومة النحوية واشتهرت (باليوسفية)، أو (اليوسفية في النحو)، أو (اليوسفية في الإعراب)، لكن التسمية الأولى أكثر شهرة وأكثر لُصوقا بالمنظومة، لأنها هي التي ارتضاها لها ناظمها وبها سُميت من طرفه. غير أن بعضا خاصة الشُّراح منهم قد يضيف لها ما يفيد الموضوع الذي اختصت به وهو علم النحو أو علم الإعراب.

فقد وردت تسميتها (باليوسفية) من الناظم نفسه في ختام أبيات القصيدة، حين ذكر تسميتها بوضوح وصراحة باليوسفية فقال:

وَلَمْ أَنْظِمِ (الْيُوسُفِيَّةَ) أَبْتَغِي *** بِهَا غَيْرَ رِضْوَانِ الْإِلَهِ مَعَ الْغُفْرِ.

وجعل غرض نظمها هو تعليم النحو مع رضوان الإله وتعظيم الأجر وحط الوزر، حيث قال في أبيات الخاتمة:

وَجَدُ بِدُعَاءِ الْخَيْرِ لِابْنِ مُحَمَّدٍ *** كَمَا جَادَ فِي تَعْلِيمِكَ النَّحْوَ بِالشَّعْرِ

سَأَلْتُكَ يَا وَهَّابُ هَبْ لِي نَفْعًا *** وَحُطَّ بِهَا وَزْرِي وَأَعْظِمَ بِهَا أَجْرِي

وَلَمْ أَنْظِمِ (الْيُوسُفِيَّةَ) أَبْتَغِي *** بِهَا غَيْرَ رِضْوَانِ الْإِلَهِ مَعَ الْغُفْرِ

وَاخْتِمْ قَوْلِي بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ *** نَبِيِّ كَرِيمٍ عَالِي الْقَدْرِ وَالْفَخْرِ

وَصَلِّيْ عَلَى خَيْرِ الْأَنْبَاءِ مُحَمَّدٍ *** نَبِيِّ أَتَانَا بِالصَّلَاةِ وَبِالذِّكْرِ

وَعَثَرْتَهُ ثُمَّ الصَّحَابَةَ ثُمَّ مَنْ *** تَلَاهُمْ عَلَى الْإِحْسَانِ بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ

نسبة المنظومة لابن النحوي:

رغم شهرة ابن النحوي ودخوله في مواجهات فكرية وثقافية وتبوّته مكانة سامية في الأوساط الصوفية، لم تذكر المصادر التي ترجمت له إلا القليل من المؤلفات أكثرها في الشعر. وربما يُعدُّ ابن الأبار الوحيد الذي أشار إلى أن لابن النحوي عددا من المؤلفات لكنه لم يحددها أو يفصل الكلام عنها¹.

¹ - ابن الأبار القضاي، التكملة لكتاب الصلّة، الجزء الرابع، ص 226.

ونسبة قصيدته أو المنظومة النحوية المسماة: (اليوسفية) إلى ابن النحوي يمكن التّدليل عليها من عدّة أوجه:

الوجه الأول: فقد قيدها المترجمون لابن النحوي ضمن مصنفاته التي تركها وتُنسب إليه دون تردد أو شك.

الوجه الثاني: وردت نسبتها إلى ابن النحوي في كل مخطوطات المنظومة، إذ تعزوها إليه دون الوقوع في التّردّد أو التّخمين أو الشك.

الوجه الثالث: ما ورد من إشارات في منظومته (اليوسفية) يشيروني على ذلك بيقين. فمما يؤكد نسبتها إليه قوله في البيت السادس عشر (16) وهو يتحدّث عن أقسام الكلام مؤكداً من هو صاحب القول أو صاحب المنظومة الذي ينبغي الإصغاء إليه والاستماع له في مثل هذا الأمر، قاصداً نفسه¹، وهو قوله: (أبو القاسم) في البيت حين قال:

وَقَدْ قَالَ أَقْسَامُ الْكَلَامِ ثَلَاثَةٌ *** (أَبُو الْقَاسِمِ النَّحْوِيُّ) فِي أَوَّلِ الشَّعْرِ.

وابن النحوي هو أبو القاسم جمال الدّين يوسف بن محمد بن يوسف التّوّزريّ الرّشّيدي القلعي، أي يقصد نفسه وشخصه.

ومما يؤكد نسبتها إليه أيضا، ما أورده في ختام أبيات منظومته قوله:

وَجُدْ بِدُعَاءِ الْخَيْرِ (لِابْنِ مُحَمَّدٍ) *** كَمَا جَادَ فِي تَغْلِيمِكَ النَّحْوُ بِالشَّعْرِ.

فقد طلب الدّعاء لابن محمد المقصود به نفسه (يوسف بن محمد)، فهذا ممّا يُعَدّ دليلا واضحا على انتسابها إليه.

الوجه الرابع: ومما يؤكد نسبتها إليه أنّ كلّ من تعرض إلى شرحها، وبسط الكلام في مسائلها، ينسبها لابن النحوي بيقين. فمن ذلك ما ذكره الصّيداوي في غلاف شرحه المخطوط المسعى (الدّرة المضية في شرح القصيدة اليوسفية)² قوله: (شرح لبعض الأفاضل على القصيدة اليوسفية للعلامة جمال الدّين أبي عبد الله يوسف بن محمد النحوي الرّشّيدي رحمه الله)³. حيث نسبها له في الغلاف، ثمّ أعاد تأكيد نسبتها إليه في خاتمة شرحه حين قال: (لم ينظم الإمام العالم العلامة جمال الدّين يوسف النحوي الرّشّيدي هذه القصيدة التي اشتملت مع صغرها على معاني إلّا ابتغاء

¹ - ذكر آخرون أنّه ربما كان يقصد معاصره أبا القاسم الحريري فيما جاء عن الكلام وحده في منظومته. انظر عمر بن محمد بن أبي بكر المبيض الصّيداوي، الدّرة المضية في شرح القصيدة اليوسفية، ص 71، هامش رقم ثلاثة وهو من قول وتعليق المحقق.

² - عمر بن محمد بن أبي بكر المبيض الصّيداوي، الدّرة المضية في شرح القصيدة اليوسفية، تحقيق خالد عبده الشربيني حسنين سماعة المدرس بقسم اللغويات بكلية اللغة العربية بالمنوفية جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية، د ط، د ت.

³ - عمر بن محمد بن أبي بكر المبيض الصّيداوي، الدّرة المضية في شرح القصيدة اليوسفية، ص 29.

رضوان الله، راجيا المغفرة من الله تعالى، نسأل الله تعالى أن يغفر له ويهب له تنعما ويحط عنه وزره أي ذنبه، وأعظم له الأجر أي الثواب بمنّه وكرمه¹.

وقد نُسبت إليه أيضا في شرح محمد بن أحمد المرباط الأودزي اليعقوبي المسمى (شرح القصيدة اليوسفية)². فكما ترى نُسبت إليه بداية من العنوان. كما أن توثيق الشرح للأودزي جاء فيه أن المنظومة المشروحة هي لصاحبها يوسف بن محمد³. أي التّوزري القلعي المعروف بابن النّحوي. وقد نسبها له أيضا المختار السّوسي في كتابه: (سوسة العالمية)⁴ ونسبها إليه في كتابه الثاني: (المعسول)⁵، حين ترجم للعلامة الأودزي اليعقوبي وذكر من مؤلفاته شرحه القصيدة اليوسفية في النّحولابن النّحوي.

مخطوطات المنظومة وشروحيها:

لقيت المنظومة النّحوية (اليوسفية) من المهتمين بالدرّس النّحوي في صورة المنظومات جانبا من الاهتمام في حلقات العلم، حيث كانت تُدرّس وتُحفظ وتُشرح من طرف المشايخ والعلماء والمهتمين، وقد وُضع لها شروح عديدة ودوّنت في ورقات دليلا على مكانتها وقيمتها العلمية والمعنوية، ودليلا أيضا على حضورها في مجال الدّرس النّحوي، وأنّها لقيت قبولا واهتماما من العلماء. وقد قادنا بحثنا إلى معرفة عدد من مخطوطات هذه المنظومة، ومعرفة مخطوطات شروحيها موزعة بين الخزائن والمكتبات، نفصّل الحديث عنها كالتّالي:

أولا: مخطوطات المنظومة:

إنّ عملية البحث عن المخطوطات المتعلقة بهذه المنظومة وأماكن تواجدها، سواء مخطوطات المنظومة لوحدها، أو مخطوطات مختلف الشروح التي تناولتها وتعرّضت لها. قادنا إلى معرفة ما أمكننا الوصول إليه، ولعلّه توجد مخطوطات أخرى لم يسعفنا الحظ لمعرفة أماكن تواجدها وخزائن حفظها.

وما تعرّفنا عليه الذي هو خاص بالمنظومة أو القصيدة وهي كما نرى تمثّلت في التّالي:

1- نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط رقم: 351/1.

2- نسخة ثانية بالخزانة العامة بالرباط رقم: 753.

¹ - عمر بن محمد بن أبي بكر المبيّض الصيداوي، الدّرة المضية في شرح القصيدة اليوسفية، ص 113.

² - انظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط، القسم الثّاني، الجزء الأول، اعتنى بتأليفه ي.س. علّواش وعبد الله الرجراجي، ط 2، 1421هـ/2001م، ص 346.

³ - المصدر نفسه، ص 346.

⁴ - محمد المختار السّوسي، سوسة العالمية، مطبعة فوضالة، المحمدية 1380هـ/1960م، المملكة المغربية، ص 196.

⁵ - محمد المختار السّوسي، المعسول، الجزء الخامس، المغرب، ص 63.

3- نسخة خطية ثالثة محفوظة في مكتبة إبراهيم الزّرمي الحفظي بعسير، بالمملكة العربية السّعودية.

4- نسخة رابعة بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة في 3 أوراق رقم: 308306.

5- نسخة خامسة مخطوطة بخزانة الثّراث بمركز جمعة الماجد للثقافة والتّراث بدبي، لم يُذكر مؤلفها عندهم برقم: 263166.

ثانيا: مخطوطات شروح المنظومة:

لقيت المنظومة اهتمام بعض العلماء فعمدوا إلى تناولها بالشرح والتّفسير والتّحليل، زيادة في التّبسيط والتّوضيح والبيان للمسائل التي وردت فيها. ومن الذين تناولوها بالشرح:

1- محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن يعقوب المرباط اليعقوبي السّملالي الأدوزي المغربي (ت1221هـ/1806م)¹،

2- عمر بن محمد بن أبي بكر المبيض الصّيداوي في شرح سمّاه، (الدّرة المضية في شرح القصيدة اليوسفية)².

3- يبورك بن عبد الله بن يعقوب السّملالي الأدوزي (ت 1058هـ).

4- شرح اليوسفية في النّحو المنسوب إلى عبد العزيز الدّيريني (ت 690هـ)³، وقيل توفي في غير هذا التّاريخ.

2- مخطوطات الشّروح:

¹ - مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط رقم: 346/1 المملكة المغربية. - نسخة ثانية مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط رقم: 24/5 المملكة المغربية. - نسخة ثالثة مخطوطة بمركز الملك فيصل بالمملكة العربية السّعودية رقم: 12958/5. - كما توجد نسخة مخطوطة رابعة بمركز الملك فيصل رقم: 4/2194 - ونسخة مخطوطة خامسة بمركز الملك فيصل رقم: 545: 1682. - نسخة مخطوطة سادسة بمكتبة بمركز نجيبويه لخدمة التراث بسرّايفو بالبوسنة والهرسك. - مخطوطة سابعة بدار الكتب الوطنية أبو ظبي بالإمارات العربية المتحدة رقم: 59/661/8 مج. - نسخة مخطوطة ثامنة بالخزانة الحسنية بالمغرب رقم: 10268. نسخة مخطوطة تاسعة بالخزانة العامة بالرباط رقم: 545د.

² - وقد طبع هذا الشرح المعروف (الدّرة المضية في شرح القصيدة اليوسفية) لعمر بن محمد بن أبي بكر المبيض الصّيداوي، تحقيق خالد عبده الشّريبي حنين سماحة.

ومن هذا الشرح نسخة مخطوطة بالمكتبة الظّاهرية بدمشق، رقم 8177 مجموع . - نسخة ثانية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتّراث رقم: 228259 في 21 ورقة. - نسخة ثالثة بالمكتبة المركزية بالرباط بالمملكة العربية السّعودية، رقم: 1413 عن الظاهرية 8177/193. - نسخة رابعة مخطوطة بقسم المخطوطات بمكتبة جامعة محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السّعودية رقم: 1413 في 21 ورقة.

³ - نسخة مخطوط بمكتبة الشّيخ بن عزوز القاسمي الحسني، بزاوية الهامل، بوسعادة ولاية المسيلة بالجزائر. - نسخة ثانية مخطوطة ضمن مجموعة بلقاسم ضيف للمخطوطات بالجزائر.

والمخطوطات التي تتعلق بمختلف الشُّروح على هذه المنظومة توزعت على عدد الشُّراح الذين تناولوها وهم كالتَّالي:

أولاً: عمر بن محمد بن أبي بكر المبيض الصَّيداوي في شرح سماه: الدرّة المضية في شرح القصيدة اليوسفية في الإعراب لابن النّحوي، ومخطوطات هذا الشُّرح هي:

- 1- نسخة مخطوطة بالمكتبة الظَّاهرية، رقم 8177 ضمن مجموع .
- 2- نسخة ثانية بمركز جمعة الماجد للتراث رقم: 228259 في 21 ورقة.
- 3- نسخة ثالثة بالمكتبة المركزية بالرياض بالمملكة العربية السَّعودية، رقم: 1413¹ عن الظَّاهرية 8177/193.

ثانياً: محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن يعقوب المرابط اليعقوبي السَّملالي الأُدوزي المغربي (ت 1221هـ/1806م)². له شرح على اليوسفية لم تذكر المصادر عنواناً لهذا الشُّرح. ومخطوطاته التي أمكننا معرفتها هي:

- 1- مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط رقم: 346/1 المملكة المغربية.
- 2- نسخة ثانية مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط رقم: 24/5 المملكة المغربية.
- 3- نسخة ثالثة مخطوطة بمركز الملك فيصل بالمملكة العربية السَّعودية رقم: 12958/5.
- 4- نسخة رابعة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط بالمملكة المغربية رقم: 2194/د³.
- 5- نسخة خامسة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط بالمملكة المغربية رقم: 1682: 545⁴.

¹ - فهرس المخطوطات المصورة في النّحو والصّرف واللّغة والعروض، إعداد علي حسين البواب، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، عمادة شؤون المكتبات، قسم المخطوطات، ط 1، 1408هـ/1987م، ص 94/95.

² - من أسرة أدوزية عريقة في العلم، أخذ العلم عن والده أحمد المرابط وابن عمه علي بن إبراهيم وعن أخواله وعن كثير من علماء عصره. انتهت إليه رئاسة العلم في ولاية فكان يدرّس ويحكم بين النّاس ويفصل في الخصومات ويصلح ذات البين ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويصدر الفتاوى ويقسم التّركات وغير ذلك. أفنى عمره في خدمة العلم تدريسا وتأليفا وشرحا وتعليقا. ترك العديد من المؤلفات تشهد له بالتّمكن والاقتدار وسعة الإطلاع.

انظر ترجمته: عمر رضا كحالة، معجم المؤلّفين، جز 9، ص 11. - خير الدّين الزّركلي، الأعلام، ج 6، ص 17. - محمد المختار السّوسي، سوسة العلّامة، ص 214/196. - عبد الرّحمن الجشتيمي، الحضّيكيون، ص 97. - محمد المختار السّوسي، المعسول، ج 5، ص 62/65.

³ - فهرس المخطوطات العربية في الخزانة العامة في الرباط، المجلد الخامس، محمد إبراهيم الكتاني وصالح التّادلي، منشورات الخزانة العامة للكتب والوثائق 1997م، ص 24.

⁴ - فهرس المخطوطات العربية في الخزانة العامة في الرباط، القسم الثّاني، الجزء الأوّل، اعتنى بتأليفه ي.س. علّواش وعبد الله الرّجراجي، ط 2، 1421هـ/2001م، ص 346.

- 6- نسخة سادسة مخطوطة بمركز نجيبويه بسراييفو بالبوسنة والهرسك¹.
- 7- نسخة سابعة مخطوطة بدار الكتب الوطنية أبو ظبي بالإمارات العربية المتحدة رقم: 59/66/8 مج.
- 8- نسخة ثامنة مخطوطة بالخرزانه الحسنية بالمملكة المغربية رقم: 10268.
- 9- نسخة تاسعة مخطوطة بجامعة محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية رقم: 9601885667.
- 10- نسخة عاشره مخطوطة بخزانة جامع القرويين بفاس بالمملكة المغربية ضمن مجموع رقم: 1560.
- ثالثا: بيورك بن عبد الله بن يعقوب السملالي الأدوزي (ت 1058هـ). وقد نسب إليه بعض الدّارسين شرحا للمنظومة اليوسفية لابن النّحوي، غير أنّي لم أجد له مخطوطا فيما بحثت من فهارس.
- رابعا: عبد العزيز الدّيريني (ت 690هـ). وقد نسب إليه بعض الدّارسين والباحثين شرحا للمنظومة اليوسفية لابن النّحوي أمكننا معرفة مخطوطتين منها هي:
- 1- نسخة مخطوط بمكتبة الشّيخ بن عزوز القاسمي الحسني، بزاوية الهامل، بوسعادة ولاية المسيلة بالجزائر.
- 2- نسخة ثانية مخطوطة ضمن مجموعة بخزانة بلقاسم ضيف الخاصة للمخطوطات بالجزائر.
- الشّروح المطبوعة:**
- وقد طبعت هذه المنظومة مع شرحها المعروف (الدّرة المضية في شرح القصيدة اليوسفية) لعمر بن محمد بن أبي بكر المبيض الصّيداوي، تحقيق خالد عبده الشّربيني حسنين سماحة، المدرس بقسم اللّغويات بكلية اللّغة العربية بالمنوفية، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية دون طبعة ودون تاريخ.
- وهو الشّرح الوحيد فيما أعلم الذي طبع لهذه المنظومة.
- ملاحظات واستنتاجات حول هذه المخطوطات:**
- الملاحظ لهذه المجموعة من المخطوطات التي مرّ ذكرها سابقا المتعلقة بمنظومة اليوسفية أو شروحا يمكنه تسجيل مجموعة من الملاحظات نجمها في النّقاط التّالية:
- بلغ عدد المخطوطات التي لها علاقة بالقصيدة وشروحا حوالي عشرين مخطوطا.
 - توزّعت هذه المخطوطات على خزائن ومكتبات عديد الدّول العربية وحتّى غير العربية، فهي موجودة في خزائن ومكتبات كل من الجزائر، والمملكة المغربية، وجمهورية مصر العربية، والمملكة

¹ - مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التّراث، سراييفو البوسنة والهرسك، لصاحبه أحمد بن عبد الكريم نجيب، مختارات من المخطوطات الأصلية في المركز، إعداد حسن بن محمد تقي الدّين بن الطّالب المغربي، ص 31.

العربية السَّعودية، والإمارات العربية المتحدة، والبوسنة والهرسك. وكان الحظ الأوفر فيها بأكثر عدد من هذه المخطوطات للملكة المغربية.

- يعتبر هذا العدد الكثير دليلا على الاهتمام الذي لقيته هذه المنظومة، وأنَّ النَّسَاح استنسخوا وكتبوا القصيدة وشُروحها ونقلوها بين عديد الأماكن والمناطق، وأنها كانت معروفة عند المهتمين بالنَّحو في حلقات العلم والدَّرس.

المسائل النَّحوية التي وردت في المنظومة:

اقتصرت المنظومة على نقل وذكر رؤوس المسائل، وأوجزت الحديث فيها دون تطويل أو استطراد، لأنَّ ناظمها ابن النَّحوي التَّوزري القلعي كان يقصد بها تلقين المتعلم المبتدئ الذي يريد الولوج إلى عالم قواعد النَّحو ومعرفة موضوعاته، وهذا المتعلم المبتدئ لا تليق له المطولات لأنها تشوش فكره وتشتت تركيزه ولا يستوعب من قواعد النَّحو إلا القليل، وعلى هذا (اشتملت المنظومة على عدد من الأبواب النَّحوية التي رأى أنها تكفي المتعلم المبتدئ)¹ وتلبي رغبته وحاحته.

المنظومة كاملة:

اعتمدت في إيراد نظم قصيدة (اليوسفية) كاملا، وفي ضبطها، على أبيات القصيدة كما وردت في شرح عمر بن أبي بكر الصَّيداوي المسمى: (الدَّرة المضية في شرح القصيدة اليوسفية في الإعراب لابن النَّحوي)²، كما اعتمدت أيضا على نظم القصيدة كاملا كما أوردها المحقق للشرح خالد عبده الشَّربيني حسنين سماحة نهاية الشَّرح، وقد ضبطها وصحَّحها ووضع حركات الحروف عليها³. وقد جاءت القصيدة في مقدمة وثلاثة عشر بابا وخاتمة، مفصَّلة على النَّحو التَّالي:

المقدمة

1- أَيَا طَالِبِ الْإِعْرَابِ دُونَكَ جُمْلَةٌ *** مِنْ أَحْرَفِ الْفَتْحِ لَكَ فِي شِعْرِي

2- تُعَلِّمُكَ الْإِعْرَابَ وَهِيَ قَرِيبَةٌ *** مُنْظَمَةٌ يَسَّرُهَا أَيَّمَا يُسَّرِ

3- ثَلَاثُونَ بَيْتًا فَرَعَهَا وَثَمَانِيَةٌ *** تُعَلِّمُ يَوْمًا مَا يُعَلِّمُ فِي شَهْرِ

الباب الأول، حروف الجر

4- فَ(مِنْ) وَ(إِلَى) حَرْفَانِ مِنْ أَحْرَفِ الْجَرِّ *** كَقَوْلِكَ: مِنْ هُنْدَ كِتَابٍ إِلَى بِشْرِ

¹ - عمر بن محمد بن أبي بكر المبييض الصَّيداوي، الدَّرة المضية في شرح القصيدة اليوسفية، تحقيق خالد عبده الشَّربيني حسنين سماحة، ص 11.

² - عمر بن محمد بن أبي بكر المبييض الصَّيداوي، الدَّرة المضية في شرح القصيدة اليوسفية، تحقيق خالد عبده الشَّربيني حسنين سماحة المدرس بجامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية د ط، د ت.

³ - عمر بن محمد بن أبي بكر المبييض الصَّيداوي، الدَّرة المضية في شرح القصيدة اليوسفية، تحقيق خالد عبده الشَّربيني حسنين سماحة، ص 119/120/121.

- 5- وَ(عَنْ) وَ(عَلَى) مِنْهَا، كَقَوْلِكَ: سِرْوَانٌ *** خَطَرْتَ عَلَى عَمَّارٍ فَاسْأَلْهُ عَنْ عَمْرٍو
6- وَ(رَبِّ) وَ(وَأَوَّلِ لِيَمِينِ) وَ(تَأَوُّهَا) *** وَ(كَافٍ) بِهَا التَّشْبِيهِ تَأْتِي مَدَى الدَّهْرِ
7- وَ(مُنْدُ) وَ(فِي) وَ(الْبَاءِ) وَ(الْلَامِ) فَاجْتَهِدْ *** وَإِيَّاكَ وَالتَّقْصِيرَ عَنْ طَلَبِ الْخَيْرِ
8- وَكُنْ سَائِلًا عَمَّا بَقِيَ مِنْ حُرُوفِهِ *** فَإِنِّي افْتَصَرْتُ الْقَوْلَ جَزْمًا عَلَى الْقَصْرِ

الباب الثاني، نواصب الفعل المضارع

- 9- وَ(إِنْ) مِنْ حُرُوفٍ تَنْصِبُ الْفِعْلَ عِنْدَنَا *** كَقَوْلِكَ: أَرْجُو أَنْ أَفُوزَ بِذِي الْخَيْرِ
10- وَ(كَيْلًا) وَ(كَيْ) مِنْهَا، كَقَوْلِكَ: زُرْنِ كَيْ *** أُفِيدَكَ عَلِمًا لَنْ يُفِيدَكَ هُوَ غَيْرِي
11- وَ(أَنْ) وَ(إِذَا) مِنْهَا وَ(حَتَّى) وَ(لَمْ كَيْ) *** وَ(لَمْ جُحُودٍ) بَعْدَ مَا أَبَدًا تَجْرِي

الباب الثالث، جوازم الفعل

- 12- وَأَمَّا حُرُوفُ الْجَزْمِ فَهِيَ كَثِيرَةٌ *** أَنْتَبِهْ مِنْهَا مَا يَدُلُّ عَلَى الْأَثَرِ
13- فَ(لَمْ) وَ(أَلَمْ) مِنْهَا وَ(لَمْ) وَ(مَنْ) وَ(مَا) *** كَقَوْلِكَ: لَمْ يَفْهَمْ كَلَامِي أَبُو عَمْرٍو
14- وَ(مَهْمَا) (مَتَى مَا) ثُمَّ (أَيْنَ) وَ(أَيْنَمَا) *** وَ(تَهَيَّ) وَ(لَا لِلتَّهَيَّ) وَ(الْلَامُ لِلأَمْرِ)
15- وَبَاقِي حُرُوفُ الْجَزْمِ كُنْ عَنْهُ سَائِلًا *** وَاجْنِي ثَمَارَ الْعِلْمِ وَازْدَدْ مِنَ الْخَيْرِ

الباب الرابع: أقسام الكلام

- 16- وَقَدْ قَالَ: أَقْسَامُ الْكَلَامِ ثَلَاثَةٌ *** أَبُو الْقَاسِمِ النَّحْوِيُّ فِي أَوَّلِ الشَّعْرِ
17- فـ (اسْمٌ) وَ(فِعْلٌ) ثُمَّ (حَرْفٌ) يَجِي إِلَى *** مَعَانٍ وَنَعَمَ الْقَوْلُ مَا قَالَهُ الْعُمَرُ

الباب الخامس، علامات الاسم

- 18- فَ(قَامَ يَقُومُ) (الْفِعْلُ) وَ(الاسْمُ) كُلُّمَا *** لَهُ ظُلُلٌ كَالدَّارِ وَالثَّوْبِ وَالْحَجَرِ

الباب السادس، الأسماء التي تعمل عمل الفعل

- 19- وَأَمَّا الْمَصَادِيرُ الْقِيَامُ وَنَحْوُهَا *** وَأَمَّا الْحُرُوفُ هِيَ (عَنْ) وَ(مِنْ) وَ(إِلَى) فَادِرِ

الباب السابع، الفاعل والمفعول به

- 20- وَيَرْفَعُ أَهْلُ النَّحْوِ مَا كَانَ فَاعِلًا *** كَقَوْلِكَ: قَدْ نَادَى الْمُؤَذِّنُ لِلظُّهْرِ
21- وَيَنْتَصِبُ الْمَفْعُولُ بِالْفِعْلِ عِنْدَنَا *** كَقَوْلِكَ: زَيْدًا فَقَدْ جَاءَ بِالْعُذْرِ

الباب الثامن، نائب الفاعل

- 22- وَإِنْ جِيءَ بِالْمَفْعُولِ مِنْ غَيْرِ فَاعِلٍ *** فَأِعْرَابُهُ بِالضَّمِّ عِنْدَ ذَوِي الْحَجَرِ
23- كَقَوْلِكَ: لَمْ يَضْرِبْ غُلَامٌ مُحَمَّدٍ *** وَلَمْ يُعْطَ زَيْدٌ حَقَّهُ مِنْ أَبِي عَمْرٍو

الباب التاسع، الإضافة

- 24- وَمَهْمَا أَضْفَتَ اسْمًا إِلَى اسْمٍ خَفَضَتْهُ *** كَذَا قَالَ أَهْلُ النَّحْوِ فِي الْكُتُبِ الرَّهْرِ
25- كَقَوْلِكَ: هَذَا عَبْدٌ زَيْدٍ فَبِغْ لَهُ *** وَيُعْطِيكَ دِينَارًا إِلَى آخِرِ الشَّهْرِ

الباب العاشر، العطف

26- وَمَهْمَا عَطَفْتَ اسْمًا عَلَى اسْمٍ عَرَبْتَهُ *** فَأَعْرَابُهُ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ وَالْجَرِّ

27- كَقَوْلِكَ: أَكْرِمْ خَالِدًا وَمُحَمَّدًا *** وَأَحْسِنْ إِلَى زَيْدٍ وَعَمْرٍو مَدَى الدَّهْرِ

28- فَقَدْ جَاءَنِي زَيْدٌ وَعَمْرٌو وَجَعَفَرٌ *** زُكُوبًا عَلَى خَيْلٍ مُحَمَّلَةٍ غُرِّي

الباب الحادي عشر، التّوابع

29- كَذَا النَّعْتُ وَالتَّوَكُّيدُ وَالبَدَلُ أَجْرُهُمْ *** بِإِجْرَاءِ مَجْرَى الْعَطْفِ وَاصْحَابُ ذَوِي الْحِجْرِ

الباب الثاني عشر، المنادى

30- وَكُلُّ مُنَادَى عِنْدَنَا النَّصْبُ حُكْمُهُ *** سِوَى الْمُفْرَدِ الْمَعْرُوفِ فَاصْنَعْ إِلَى ذِكْرِي

31- كَقَوْلِكَ: يَا غَادِي بَلِّغْ أَمَانَتِي *** وَيَا يُوسُفُ أَكْتُفُ مَا لَدَيْكَ مِنَ السِّرِّ

32- وَحُكْمُ الْمُنَادَى الْمُتَكْرِرِ النَّصْبُ مِثْلُهُ¹ *** كَقَوْلِكَ: يَا عَبْدَ الْكَرِيمِ امْتَثِلْ أَمْرِي

33- وَحُكْمُ الْمُنَادَى الْمُتَكْرِرِ بِالنَّصْبِ مِثْلُهُ *** لَقَدْ فُزْتُ يَا وَاعِي كَلَامِي بِالْأَمْرِ

الباب الثالث عشر، المبتدأ والخبر

34- وَيَرْفَعُ أَهْلُ النَّحْوِ الْأَسْمَ بِالْأَبْتِدَاءِ *** كَقَوْلِكَ: زَيْدٌ عَالِمٌ عَاقِلٌ مُقْرِي

35- وَإِنْ كَانَ خَبَرًا مُبْتَدَأَ الْأَسْمِ رَفَعُهُ *** تَفَهَّمْ وَلَا تَسْأَمْ مِنَ الدَّرْسِ وَالشُّكْرِ

الخاتمة

36- وَجُدْ بِدُعَاءِ الْخَيْرِ لابْنَ مُحَمَّدٍ *** كَمَا جَادَ فِي تَعْلِيمِكَ النَّحْوُ بِالشَّعْرِ

37- سَأَلْتُكَ يَا وَهَّابُ هَبْ لِي نَفْعًا *** وَحُطَّ بِهَا وَزُرِّي وَأَعْظُمَ بِهَا أَجْرِي

38- وَلَمْ أَنْظِلْمِ الْيُوسُفِيَّةَ ابْتِغَايَ *** بِهَا غَيْرِ رِضْوَانِ الْإِلَهِ مَعَ الْغُفْرِ

39- وَاخْتِمَ قَوْلِي بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ *** نَبِيِّ كَرِيمٍ عَالِي الْقَدْرِ وَالْفَخْرِ

40- وَصَلِّي عَلَى خَيْرِ الْأَنْبَاءِ مُحَمَّدٍ *** نَبِيِّ أَتَانَا بِالصَّلَاةِ وَبِالذِّكْرِ

41- وَعِثْرَتِهِ ثُمَّ الصَّحَابَةِ ثُمَّ مَنْ *** تَلَاهُمُ عَلَى الْإِحْسَانِ بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ

منهج ابن النحوي في عرض المسائل:

سلك ابن النحوي في منظومته منهجا تعليميا لمسائل النحو، وكان يقصد من خلال نظمها طالب العلم المبتدئ، فجاءت المنظومة صغيرة الحجم، محدودة الأبيات معدودة الموضوعات التي عالجتها، فاختار لها الألفاظ السهلة، والمعاني البسيطة، والأسلوب البعيد عن التعقيد.

فبناء على هذه المنطلقات فإن إدراك ومعرفة منهجه في ذلك يسير وسهل، يقوم على عدد من الخطوات والعناصر البسيطة والواضحة، فهي محدودة العناصر لا تعقيد ولا إشكال ولا لبس فيها، ولعلّ المنهج الذي سلكه في منظومته هذه لا يخرج عن العناصر التالية:

¹- قال خالد عبده الشَّريبي محقق الدِّرة المضية في شرح القصيدة اليوسفية في الإعراب لابن النحوي: هكذا في الأصل. والأصل أن يشير هنا إلى المنادى المضاف حيث أشار إلى المنادى المنكر في البيت الذي يليه.

- أولاً: عرض المسائل:

عرض ابن النحوي عددا من المسائل النحوية يرى ضرورة ووجوب معرفتها للمتعليم المبتدئ، فهي تغنيه وتفتح له الباب بعد ذلك في الغوص نحو إدراك باقي المسائل النحوية الأخرى. وإذا ذكرنا محاور هذه المسائل التي أوردناها نجد أنها محدودة معدودة معلومة، يمكن ضبط عناوينها بكل يسر وسهولة. وأهم هذه المسائل النحوية على الترتيب كما أوردتها ابن النحوي التوزري القلعي في منظومته هي:

حروف الجر، نواصب الفعل المضارع، جوازم الفعل، أقسام الكلام، الأسماء التي تعمل عمل الفعل، الفاعل والمفعول به، نائب الفاعل، الإضافة، العطف، التوابع، المنادى، المبتدأ والخبر.

- ثانيا: إيراد الشواهد والأمثلة:

أكثر ابن النحوي في منظومته هذه من الاستشهاد وإعطاء أمثلة على المسائل التي ذكرها في منظومته، حيث أورد أربعة عشر (14) مثالا لأكثر المسائل النحوية التي وردت في منظومته. غير أن الملاحظ في هذه الشواهد، أنها كلها أمثلة اصططنعها هو، ولم تكن شواهد من القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف، أو أبياتا، أو أشطارا، أو أجزاء من الشعر، أو بعض الأمثال والحكم، وغير ذلك مما يُستشهد به عادة في مثل هذه المسائل.

- ثالثا: الإحالة إلى التوسع والاستطراد في الموضوع:

قد يذكر ابن النحوي المسألة أو المسائل النحوية بإيجاز واختصار، وقد يكتفي برؤوس المسائل أو بما هو مهم وضروري للمتعليم المبتدئ، ثم يحيل من أراد التوسع والاستزادة على البحث والنظر في غير هذه المنظومة، أي النظر في كتب القوم ورسائلهم ففيها المزيد.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في البيت الثامن، فبعد أن ذكر حروف الجر واقتصر فيها على عدد اثني عشر حرفا، طلب السؤال عن البقية من الحروف في غير هذا الموضع فقال:

وَكُنْ سَائِلًا عَمَّا بَقِيَ مِنْ حُرُوفِهِ *** فَإِنِّي اقْتَصَرْتُ الْقَوْلَ جَزْمًا عَلَى الْقَصْرِ

ومن أمثلة ذلك أيضا ما جاء في البيت الخامس عشر، فبعد حديثه عن حروف الجزم والتي اقتصر الحديث فيها على بعض منها، طلب أيضا السؤال عن البقية من الحروف في غير هذا الموضع فقال:

وَبَاقِي حُرُوفَ الْجَزْمِ كُنْ عَنْهُ سَائِلًا *** وَاجْنِي ثِمَارَ الْعِلْمِ وَارْدَدَ مِنَ الْخَيْرِ

- رابعا: إجراء الحوار:

وهو أسلوب تربوي تعليمي يلجأ إليه كثير من الناطمين لتعليم المسائل وتثبيتها في أذهان المتعلمين. حيث كان يعتمد ابن النحوي إلى توضيح وبيان المسائل النحوية والقضايا التي أثارها في منظومته، من خلال الإجابة على سؤال مفترض، ولهذا أكثر من إيرادها جملة، (كَقَوْلِكَ). وهي إجابة لمن يبحث عن مثال أو دليل أو شاهد على المسألة الواردة.

- خامسا: إيراد بعض ما يمكن أن نسميه جوانب تربوية أو أخلاقية:

وهي قضايا ومسائل لها علاقة بالالتزام الديني والأخلاقي والتربوي والتوجيهي والسلوك الصوفي، وهو أمر واضح وجلي من خلال الأمثلة التي كان يختارها ويوردها في قصيدته، وهو دون شك كان يقصد إلى ذلك قصدا، ويهدف إليه عمدا، مثل تمثيله بقوله في البيت التاسع: (أرجو أن أفوز بذي الخير). وقوله في البيت الخامس عشر: (واجني ثمار العلم وازدد من الخير). وقوله في البيت العشرين: (قد نادى المؤذن للظهر). وقوله في البيت الواحد والعشرين: (زيدا فقد جاء بالعدو). وقوله في البيت الواحد والثلاثين: (يا غادي بلغ أمانتي). وقوله في البيت الواحد والثلاثين أيضا: (يا يوسف أكتنم ما لديك من السر). وقوله في البيت الثالث والثلاثين: (لقد فزت يا واعي كلامي بالدر). وقوله في البيت الرابع والثلاثين: (زيد عالم عاقل مقري). وقوله في البيت الخامس والثلاثين: (تفهم ولا تسأم من الدرس والشكر).

فأنت ما ترى أنها كلها عبارات تحمل معنى التوجيه والتربية، والتنبيه على الخير، والإرشاد إلى أعمال البر والصالح، وإلى كل ما ينضوي تحت مجال الالتزام والأخلاق والسلوك الحميد.

الاعتراضات على ابن النحوي:

يمكننا تسجيل بعض الاعتراضات على ابن النحوي مما ورد من آراء في منظومته (اليوسفية) وهذه الاعتراضات هي التي أشار إليها عمر بن محمد بن أبي بكر المبيض الصيداوي، في شرحه (الدرّة المضية في شرح القصيدة اليوسفية في الإعراب)، وقد تمثلت في عدد من المؤاخذات أو ما يمكن أن نسميه اعتراضات على ابن النحوي في المسائل التي أوردها في منظومته، يمكن الإشارة إليها في إيجاز، والمتمثلة في التالي:

الاعتراض الأول:

وهو الذي ورد تعليقا على أبيات (الرابع، والخامس، والسادس، والسابع، والثامن)، في قوله:

فَ (مَنْ) وَ (إِلَى) حَرْفَانِ مِنْ أَحْرِفِ الْجَرِّ *** كَقَوْلِكَ: مَنْ هُنْدٍ كِتَابٌ إِلَى بَشَرٍ
وَ (عَنْ) وَ (عَلَى) مِنْهَا قَوْلُكَ: سِرٌّ، وَإِنْ *** خَطَرْتُ عَلَى عَمَّارٍ فَاسْأَلْهُ عَنْ عَمْرٍو
وَ (رَبِّ) وَ (وَإِذَا) لِلْيَمِينِ وَ (تَأْوُهَا) *** وَ (كَافٍ) يَهَا التَّشْبِيهُ تَأْتِي مَدَى الدَّهْرِ
وَ (مُنْدُ) وَ (فِي) وَ (الْبَا) وَ (الْلَامُ) فَاجْتَهِدْ *** وَإِيَّاكَ وَالتَّقْصِيرَ عَنْ طَلَبِ الْخَيْرِ
وَ كُنْ سَائِلًا عَمَّا بَقِيَ مِنْ حُرُوفِهِ *** فَإِنِّي اقْتَصَرْتُ الْقَوْلَ جَزْمًا عَلَى الْقَصْرِ

من خلال هذه أبيات التي تشتمل الحديث عن حروف الجر يمكن تسجيل ملاحظتين بارزتين وهما من الاعتراضات التي نسجلها على ابن النحوي في هذا الباب:

الملاحظة الأولى:

بدأ النّاظم قصيدته بالحديث عن حروف الجر على غير عادة المتقدمين ومعظم اللاحقين، كما صنع الحريري¹ في ملحّة الإعراب² الذي آخر الحديث عن أقسام الكلام وعلامات الاسم والفعل والحرف بعد حديثه عن نواصب وجوازم المضارع، وهذا ممّا أخذه عليه الصّيداوي في شرحه للقصيدة³.
الملاحظة الثّانية:

ذكر ابن النّحوي في هذه الأبيات اثني عشر حرفا من حروف الجر وأهمّل ما عدا ذلك، ربّما خوفا من التّطويل والاستطراد والإسهاب، مع العلم أنّها أكثر من ذلك⁴، لكنّه استدرك بعد ذلك بأنّه اقتصر على ذلك اختصارا وقصدا، وما على طالب العلم إلّا الاجتهاد في معرفتها والبحث والتّفتيش عنها فقال:

وَكُنْ سَائِلًا عَمَّا بَقِيَ مِنْ حُرُوفِهِ *** فَإِنِّي اقْتَصَرْتُ الْقَوْلَ جَزْمًا عَلَى الْقَصْرِ
الاعتراض الثّاني:

وهو الذي ورد في شرحه وتعليقه على الأبيات (التّاسع والعاشر والحادي عشر) حول معرفة الحروف التي تنصب الفعل المضارع، حيث قال عنها:

و(إِنْ) مِنْ حُرُوفٍ تَنْصِبُ الْفِعْلَ عِنْدَنَا *** كَقَوْلِكَ: أَرْجُو أَنْ أَفُوزَ بِذِي الْخَيْرِ
وَ(كَيْلًا) وَ(كَيْ) مِنْهَا كَقَوْلِكَ: زُرْنِ كَيْ *** أَفِيدَكَ عِلْمًا لَنْ يُفِيدَكَ هُوَ غَيْرِ
وَ(أَنْ) وَ(إِذَا) مِنْهَا وَ(حَتَّى) وَ(لَمْ كَيْ) *** وَ(لَمْ جُحُودٍ) بَعْدَهَا أَبَدًا تَجْرِي

¹ - أبو القاسم علي بن محمد الحريري: (446هـ/516هـ). كان غاية في الذكاء والفطنة والفصاحة والبلاغة، تصانيفه تشهد بفضله وكفى له شاهدا على ذلك: المقامات التي فاق بها الأوائل وأعجز الأواخر. كان مولده ببلد قريب من البصرة، له ديوان شعر، وهو إمام في النّحو واللّغة وله عدة مصنفات. انظر ترجمته في: ابن العماد، شذرات الذّهب في أخبار من ذهب ، الجزء الثامن، ص 177 القاهرة المكتبة التجارية للطباعة والنشر 1350هـ - خير الدّين الزّركلي، الأعلام ، ج 16، ص 12. - عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج 8، ص 108.

² - انظر ملحّة الاعراب طبع أسعد محمد سعد الحبال وأولاده، جدّة المملكة العربيّة السّعودية، دون طبعة، دون تاريخ.

³ - عمر بن محمد بن أبي بكر المبيّض الصّيداوي، الدّرة المضية في شرح القصيدة اليوسفية، ص 36. وانظر أيضا مقدمة المحقق ص 11.

⁴ - ذكر عدد من النّحاة أنّها أكثر من ذلك، فقد ذكر مثلا ابن مالك أنّها عشرون حرفا، وزاد عليه آخرون حرفان، انظر مثلا: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار الثّراث ودار مصر للطباعة القاهرة، ط 20، سنة 1980م، ج 3، ص 3 وما بعدها.

وجملتها في القصيدة ثمانية حروف، وقد اعترض عليه الصيداوي في إهماله ذكر (أو)، و(الجواب بالواو والفاء)، حيث لم يذكرها¹.

الاعتراض الثالث:

وهو الذي ورد تعليقا على البيتين (السادس عشر، والسابع عشر) وقد أحرّ الحديث عن الكلام وأقسامه وما يتفرع منه –كما أشرنا سابقا- حين قال:

وَقَدْ قَالَ: أَقْسَامُ الْكَلَامِ ثَلَاثَةٌ *** أَبُو الْقَاسِمِ النَّحْوِيُّ فِي أَوَّلِ الشَّعْرِ
فَ(اسْمٌ) وَ(فِعْلٌ) ثُمَّ (حَرْفٌ يَجِي إِلَى *** مَعَانٍ وَنِعَمَ الْقَوْلُ مَا قَالَهُ الْعَمْرُ

وقد علّق الصيداوي في شرحه عليهما مؤاخذا له ومعترضا عليه تأخير الحديث عن الكلام وأقسامه وتقدير الحديث عن حروف الجر، بقوله: (هذان البيتان يشتملان على أقسام الكلام وما يتفرع منه، وكان ينبغي للشّيخ أن يقدم أقسام الكلام وما يترتب عليه على حروف الجر، لأنّه الأصل)².

الاعتراض الرابع:

وهو الذي جاء تعليقا على البيت الثامن عشر، في قوله:

فَ(قَامَ يَقُومُ) (الْفِعْلُ) وَ(الاسْمُ) كُلُّ مَا *** لَهُ ظُلٌّ كَالدَّارِ وَالثَّوْبِ وَالْحَجَرِ

أشار في هذا البيت إلى الفعل والاسم، ثمّ إنّ الفعل ينقسم إلى ماضٍ ومضارع، وأمر، وقد مثّل للفعل الماضي بقوله: (قام). وبالفعل المضارع، بقوله: (يقوم). لكنّه لم يذكر وينص على فعل الأمر. ولعلّ ذلك راجع إلى كون المضارع معلوما، أو أنّ الأمر مشتق من الفعل المضارع على رأي الكوفيين في مذهبهم³.

الاعتراض الخامس:

وهو الذي جاء تعليقا على البيتين، العشرين، والواحد والعشرين، في قوله:

وَيَرْفَعُ أَهْلُ النَّحْوِ مَا كَانَ (فَاعِلًا) *** كَقَوْلِكَ: قَدْ نَادَى الْمُؤَدِّنُ لِلظُّهْرِ
وَيُنْتَصَبُ (الْمَفْعُولُ) بِالْفِعْلِ عِنْدَنَا *** كَقَوْلِكَ: زَيْدًا، فَقَدْ جَاءَ بِالْعُذْرِ

فالبيتان يشتملان على الفاعل والمفعول، غير أنّ الصيداوي حين شرح البيتين، ذكر بأنّ ابن النحوي ذكر المفعول وأغفل الفاعل وجعلها من المؤاخذات عليه⁴، والحقيقة أنّ النّاظم ذكره وأشار إليه في البيت الأول ولم يغفله كما ذكر الصيداوي.

¹ - عمر بن محمد بن أبي بكر المبيّض الصيداوي، الدّرة المضية في شرح القصيدة اليوسفية، ص 54.

² - عمر بن محمد بن أبي بكر المبيّض الصيداوي، الدّرة المضية في شرح القصيدة اليوسفية، ص 70.

³ - انظر تفصيل المسألة عند: أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، الجزء الثّاني، ص 526.

⁴ - عمر بن محمد بن أبي بكر المبيّض الصيداوي، الدّرة المضية في شرح القصيدة اليوسفية، ص 93.

الاعتراض السادس:

وهو الذي جاء تعليقا على البيتين، الثاني والعشرين، والثالث والعشرين، في قوله:
وإنَّ جِيَّ بِالْمَفْعُولِ مَنْ غَيْرِ فَاعِلٍ *** فَأَعْرَابُهُ بِالضَّمِّ عِنْدَ ذَوِي الْحَجَرِ.
كَقَوْلِكَ: لَمْ يُضْرَبْ غُلَامٌ مُحَمَّدٍ *** وَلَمْ يُعْطَ زَيْدٌ حَقُّهُ مِنْ أَبِي عَمْرٍو
يُفهم من الأمثلة التي أوردها في البيت الثاني تغيير صيغة الفعل المضارع بقوله: لَمْ يُضْرَبْ غُلَامٌ مُحَمَّدٍ وَلَمْ يُعْطَ. فقد مثل للفعل المضارع دون الماضي الذي كان ينبغي أن يمثل له هو أيضا¹.

خلاصة ونتائج:

بعد هذا التّطواف السّريع حول أهم القضايا التي وردت في منظومة (اليوسفية) لابن النّحوي التّوزري القلعي، يمكننا تسجيل مجموعة من النّقاط المختصرة نعتبرها نتائج وخلصات لهذه الدّراسة، وقد تمثّلت هذه النّتائج في النّقاط التّالية:

- تُعدّ منظومة (اليوسفية) أوّل وأقدم منظومة نحوية تصلنا في منطقة المغرب العربي.
- تُعتبر هذه المنظومة العمل الوحيد في موضوع النّحو للنّظام ابن النّحوي التّوزري القلعي.
- تعكس هذه المنظومة الصّورة الصّادقة التي كان عليها النّظم النّحوي في نهاية القرن الرّابع الهجري في منطقة المغرب العربي أو على الأقل في المغرب الأوسط.
- تُعتبر هذه المنظومة صورة واضحة لما كان عليه الفكر النّحوي للنّظام ابن النّحوي.
- بدا تأثر ابن النّحوي بالحريري في منهجه -وهو معاصر له- واضحا من خلال ابتداء نظمه بحروف الجر على غير عادة النّحاة المتقدمين والمتأخرين.
- يؤخذ على ابن النّحوي في منظومته هذه إهماله لعدد من الموضوعات والأبواب النّحوية التي لا غنى للمبتدئ عنها.
- مخالفة ابن النّحوي لجمهور النّحاة في بعض المسائل، مما أشرنا إليه في الموضوع.
- توظيفه الأسلوب التّعليمي عن طريق إجراء الحوار دليل على أنّه كان يقصد طائفة أو فئة المتعلمين وطالبي العلم خاصة منهم المبتدئين.
- جاءت المنظومة في لغة بسيطة وسهلة، مع وضوح في العبارة بعيدة عن كل تعقيد أو غموض أو ممّا يُشكل لبسا على المتلقي أو القارئ البسيط والعادي.
- وأخيرا هي دعوة لكل الباحثين والدّارسين أن يولوا منطقة المغرب العربي الاهتمام الذي يليق بها، من خلال البحث والتّفتيش عن كل ما هو مخطوط وغير معروف لإخراجه إلى النّور والتّعريف به، وبيان دور المغاربة ومساهماتهم في المنظومة اللّغوية العربية والإضافات التي قدموها في ذلك.

¹ - عمر بن محمد بن أبي بكر المبيّض الصّيداوي، الدّرة المضية في شرح القصيدة اليوسفية، ص 97.